

الفرقة الناجية

أما بعد، فقد اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة: أهل السنة والجماعة ؤ الشرح * قوله: (أما بعد)، هي كلمة يؤتى بها للافتتان من أسلوب أو أسلوب آخر، ويؤتى بها في الغالب بعد مقدمة الخطب ويحدها. * قوله: (فهذا)، إشارة إلى الشيء الذي تصوره في ذهنه، وعزم على إلقائه، يعني: على فاصي واسط وعلى غاية، ثم على كائنه. * قوله: (اعتقاد)، هو ما يعقد عليه الشخص يدين به، والاعتقاد في اللغة مشتق من العقد الذي هو إتيان الشيء وإحكامه وتقويته، أما في الاصطلاح: فهو التصميم الحازم الذي ينشأ عن التصديق الحازم الذي لا يقبل الشك. * قوله: (الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة)، وصفهم بثلاث صفات هي: الأولى: أنهم ناجون، والثانية: أنهم منصورون إلى قيام الساعة، والثالثة: أهل السنة والجماعة. الفرقة: تكسر الفاء يعني: الطائفة من الناس، وذلك إشارة إلى تفتيم بين الحازم، وإن الذين حولهم متفرقون عن ذلك. فإن أهل السنة في كل زمان هم الأقلون، ولذلك شكَّوا فرقة، وقد أحرأ النبي -صلى الله عليه وسلم- بذلك في الحديث المنصور: ﴿ لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تعالى وهم كذلك ﴾ أخرجه مسلم برقم (1920) في الأمانة، باب: قوله -صلى الله عليه وسلم-: "لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين"، عن نوحان رضي الله عنه. الناجية أي: من غير الفرق الهالكة الذين تكرم النبي -صلى الله عليه وسلم- في قولهِ: ﴿ وستفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: الجماعة ﴾ وفي رواية: ﴿ من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي ﴾ والحدث له روايات أخرى، وهو حديث حسن صحيح، وسُميت ناجية؛ لأنها نتجت من الشكر والابح والمعاصي وفي الحديث: ﴿ من جحد في الآخرة من العباد المنصورة إلى قيام الساعة، أي: المويَّدة على من خالفها بالحقه والباين إلى نعم الساعة، أي: ساعة موته، وسُميت هذه الطائفة منصوره لأنها لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تعالى كما أحرى بذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- . أهل السنة لغةً: الطريقة أو السيرة، واصطلاحاً لها عدة تفسيرات، الأولى: هي اجابت الرسول -صلى الله عليه وسلم-، والثاني: الأعمال المسحوبة أو التي نابت وأغلها ولا يعاقب نازكها، والقصد هو هنا هي الطريقة المحمّدية التي قال فيها -عليه الصلاة والسلام-: ﴿ من بان الطريقة الناجية: ﴾ (من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي). الجماعة أي: المتجمعون على الحق، ولو كانوا قبلا بالنسبة إلى غيرهم، ولو كثروا عداؤهم وحصومهم، هؤلاء هم أهل السنة. يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى- في النونية انظر الكافية الشافية لابن القيم (النونية) ص 119 . الأيمان رافم (1328 . 1329 . 1330)، هذا وسادسٌ عشرها إجماع أهـ الحَقِّ أمتي شعبه البرؤان من كل صاحب سنة شهيدت له أهل الحديث وعسكر القرآن لا غيره بحالف لهم ولو كانوا عديبُ الشاء والعران فقد يوجد من يخالف في كثير من الأزمئة، ولكن لا غيره بهم، وكما قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: " الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك، فإنك أنت الجماعة حينئذٍ ". ولهذا لم يفتخر هذه الفرقة كما افتخر أهل البدع، فأهل البدع كالجهمية متفرقون، واعتزلة متفرقون، وغيرهم لمن ليس على الحق متفرقون، أما أهل السنة والجماعة فهم دائما مجتمعون حتى وإن حصل بينهم خلاف فإنه خلاف لا يؤثر ولا يضر؛ بل يغير بعضهم بعضا حيث إنه خلاف لا بدليل، ولا يضل بعضهم بعضا، فتتسع صيوره لهذا الخلاف، فأهل السنة والجماعة هم فأهل الذين اعتقدوا واعتقدوا على ما جاءهم عن الله وعن رسوله، وتقلوه بدون تردد، ولم يعبروا ولم يتدلوا سنة من ذلك، ولم يتدعوا، ولم يجعلوا مرجعهم الأول والأخير هو العقل، بل جعلوا ما جاء في الكتاب والسنة وهو الحكم وهو المرجع وردوا ما خالفه، ويدخل في أهل السنة والجماعة: الصحابة، فإنهم أئمة أهل السنة والجماعة، فإنه لم يظهر فيهم ولا بينهم بدعة. ويدخل فيهم أيضا: جل أتباعهم، وهم تعبدت الصحابة إلا من أحرقت كالجوارح الذين قتلهم على رضي الله عنه، وهم كتاب أهل النار لحديث عند الله بن أبي أوفى -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "الجوارح هم كلاب النار"، أخرجه ابن ماجه برقم (173)، وأحمد في المسند (4/355)، والظواهر بن أبي الله (324/8)، وابن أبي عمير في السنة (2/438)، وانظر المشكاة للأبائي (3554)، والسنة لابن أبي عمير (904) و(905)، وكأقصدية مجوس هذه الأئمة، والجمعة، وإن ذلك الوقت، ويدخل فيهم أيضا: جل أتباع التابعين، فإن أتباع التابعين -عائلة- كلهم متمسك بالكتاب والسنة، وقد كانوا في القرن الثاني، وأثر أقل منهم القرن الثالث. ويدخل فيهم أيضا: الأئمة الأربعة: الإمام أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وهؤلاء كلهم داخلون في مسمى أهل السنة والجماعة، بل هم أئمة السنة، ويدخل فيهم أيضا الأئمة المتأخرين بهم، وهم علماء الأمة، الذين استنبطت كتبهم وبلغها المسلمون بالفن، كالإمام البخاري صاحب الصحيح، والإمام مسلم صاحب الصحيح، والإمام أبي داود صاحب السنن، والإمام الترمذي صاحب السنن، والإمام النسائي صاحب السنن، والإمام ابن ماجه صاحب السنن، وغيرهم كثير من أصحاب الكتب المعروفة، ولما يمدحهم ويشايخهم، كل هؤلاء من أهل السنة. ثم بعد ذلك في أكثر القرن الثالث وما بعده، حيث أصوات السنة وصوتت، وانتشرت البدع، وظهر المبتدع، وراحت أسوأهم، فظهرت عقالة حنيفة وانتشرت في الظاهر، وأما السلف فطريقة أهل السلف، وطريقة الخلف أعلم وأحكم، ويقصدون بطريقة السلف: الإيمان بالآيات وأجابت الصفات على ما جاءت عليه، بدون التعرض لتكليفها ولا تعقلها ولا تأويلها، ويريدون بطريقة الخلف الخوض في معانيها وتحريها (وسميته تأويلا)، فزعموا إن الخلف أولوا حتى حلفوا على حامل منتشرة في الظاهر، أما السلف فطريقة أهل الخوض في معانيها وقرءوها كما جاءت وافقوا على ما هي عليه، فيقولون: السلف أسلم؛ حيث أتوا من تكلموا بل فوضوا علم ذلك إلى الله، والخلف أعلم وأحكم؛ حيث أتوا من العلم ما أزالوا به الشبهة وردوا على الحالف والجواب عن ذلك بأن يقال: إن طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم، فإن السلف ليس كما تطون أيها المتأخرون أنهم يفرقون الفاظ جوارأ ليس لها معاني، بل السلف يعرفونها ويعلمون معانيها، ويعتقدون بدلوها، إلا أنهم لا يشبهون الله بخلفه، ولا يعطون أسماء وصفاته، ولا يقولون: إن ظاهر هذه الأسماء والصفات كفر، وأنها تنقض التشبه، بل يعرفون أنها دالة على صفات حنيفة، (لا أنها ليس كصفات المخلوق، بل هي صفات تليق بالخالق جل وعلا. فقد شبه هؤلاء المتأخرون السلف الصالحين الأيمنين الذين قال الله فيهم: ﴿ وَهُمْ أَقْبُونَ لا يُتَّقُونَ الْكُفَّارَ ﴾ [آياترُف وَإِنْ هُمْ لا يَظُنُّونَ] { اللقرة: 78}، يعني: لا تلاؤم، والسلف ليسوا كذلك، بل عندهم معرفة وفهم وإدراك للحقائق؛ ولهذا فإنهم -رحمهم الله- فرءوا النصوص التي جاءت، وفهموا معناها، وسبغوا للناس أحسن بيان، ومن قرأ كتاب السلف وأئمة أهل السنة والجماعة عرف ذلك، والضرِب على ذلك ملتبس: أحدهما: الإمام أبو عمرو عبد الرحمن الأوزاعي وهو عالم جليل من أهل الشام ممن أدرك التابعين، يقول -رحمه الله- كما والتابعون متوافرون يقول بأن الله فوق عرشه، وتوسم ما جاءت به الآيات من الصفات؛ فهذا دليل على أن أئمة السلف يؤمنون بمدلول هذه الآيات من العلو والوقفة، وجوها، والثاني: الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك العالم الجليل من أهل حرسان -قبل له- بهذا يعرف ريتا، فقال -رحمه الله- بعرفة أنه فوق سواته على عرشه، بأن من خلقه كما يليق به، ولا يقول كما تقول الجهمية، وهذا دليل آخر على أن السلف كانوا يؤمنون بمدلول هذه الآيات، وكذلك ما وقع من بعض الأئمة، أما أبي سنعذ بل يزدق كان قد عرف بالزندقة، ثم أظهر التوبة -بعد ذلك- لما جاء به لبيسته، قال له: أشهد أن الله على عرشه، بأن من خلقه، فقال ذلك الزندي: أشهد أن الله على عرشه، وأرى ما يأتي من خلفه، فقال: زدود إلى السجن، فإنه لم يبد، وأساء ذلك كثير، فمن بدأ عرف أن طريقة السلف أعلم وأحكم، فإنهم يفرقون النصوص ويؤمنون بمعناها، إلا أنهم يبنون عنها التحريف والتشبيه، أما الخلف الذين يرجعون إلىهم أعلم وأحكم، فهؤلاء أهل الكلام الذين كثر في مسائل الصير لأظهرهم، أولئك المتكلمون الذين أجدوا أو يرتوا علم الكلام عن اليونان وعن الفلاسفة، وأجدوا عن أهل الكتاب وجوههم، ثم دسوا ذلك في الإسلام، ثم تعرفوا وأطالوا البحث في ذلك، فكانت يهانبهم الشك والحرية والاضطراب، ولهذا قال بعضهم: أكثر الناس شكا عند الموت أهل الكلام ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى ص: 15، (لأنه يموت أحدهم وهو على غير عقيدة، روي أن أحدهم دخل عليه بعض العامة وهو على فرائض الموت، فقال: لذلك العامي: ما تعتقد؟ فقال: أعتمد أن الله ربى، وأنه على عرشه، وأنه نائب من خلفه، وأنه كذا وكذا. عند ذلك قال له ذلك المتكلم: هنيئا لك، لكني والله ما أرى ما اعتقد؟ وأحد يكره ويردد قوله: ما أرى ما اعتقد حتى عني عليه ومات وهو لا يدري ماذا يعتقد، ومثله ما نقل عن الحموي صاحب "الزوفات"، أنه قال: لقد حصدت البحر الحزم، وتركت أهل الإسلام وعقولهم، وخصت في الذي يهوس عنه، وألأن إن لم تدركي رحمة ربى فالويل لي، وما أنا ذا أموت على عقيدة أمي أوردته شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى ص: 15، وفي رواية: وما أنا أموت على عقيدة عجائز يعتقد، ومثله ما نقل عن نيسابور: (أنه من أهل نيسابور في إيران ومظفر هو جامع الغزالي المشهور صاحب كتاب إحياء علوم الدين، هذا العالم كان في أول أمره مشتتلا بالفلسفة وعلم الكلام، حتى تمكّن ذلك العلم عنه، وفي أواخر حياته أراد التخلص منه فصعب عليه ذلك، عن أنه رد على الفلاسفة في كتاب مطبوع بعنوان (تهافت الفلاسفة)، ولكنه خاص في علم الفلسفة ففي في قلبه سيرة من أثار تلك العلوم التي جاض فيها، ثم قدم فيما بعد على اشتغاله بتلك العلوم، وقد ذكرأ أنه -رحمه الله- مات، وصحیح البخاري علم صدره، وبرخو من الله تعالى أن يوتى عليه، ومثله أيضا الفخر الرازي صاحب التفسير الكبير المشهور وله أيضا كتاب في العقيدة اسمه "تأسيس القديس" الذي رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب اسمه "نصي الإيسين"، فهذا العالم الكبير المشهور كان قد نحر وتفرع في علم الكلام، ويحت فيه وجاهي بعمارة، حتى وقع فيما وقع فيه من فيله، فيقول: "لقد رأمت الطرق الكلامية، والماجج الفلسفية، فما رأيتها تروي غلظا، ولا تنقى عتلا، ورأيت أقرب الطرق في طريقة القرآن، إقرأ في الإيمان: ﴿ الرَّؤْفَن عَلَى الْفَرْقَنِ اسْتَوَى ﴾ [مطه: 15] (كأن شجرة هالك لا وقفة) { القصم: 188}، وإقرأ في المنى: ﴿ أَسْمَنُ كَيْفَةً شَمْرَةً وَقَوَّ الشَّمْعُ الصَّمِيرَ ﴾ [الشمري: 111] (ولا يصفون به عتلا) [مطه: 110] ومن جرب مثل جربتي عزوب مثل معرفتي * ثم قال: نهيبا: إقدام العقول عقابا وأكثر، شق العاصمين حلالا وأرواحنا في وحشة من صومئنا وعابسا دينا؛ أذى ووسال ولم يتسعد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعا فيه قبل وفالوا أوردته شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى ص: 15، فعرفنا بذلك أن هؤلاء الذين يرجعون أن طريقة السلف أسلم، وطريقهم أعلم وأحكم، أنهم هم أهل الجبره والنسك، وأهل الرب والبر، والبردد، وطريقة السلف هي الجامعة للأصافي كلها، فهي الأسلم والأعلم والأكثر، والسلف -رحمهم الله- هم الذين ورثوا العلم، وورثوا العمل، وورثوا العقائد الصحيحة عن الصحابة والتابعين، فكانت عقائدهم سليمة صافية كما كانت في الكتاب والسنة، وليس العجب ممن هلك بعب كلفه، وأما العجب ممن يتأ جفا يعرفنا بذلك أن طريقة السلف هي المتمسك بالحقين، والسير على مهناجهم سواء في القول أو في العمل. ثم طريقهم هي تلك هي المتمسرة، فإنك متى عرفت أهل السنة وعرفت أهل الأهل وطوائفهم، كان نتيجة هذه المعرفة هي إك تنعيم وتسير على بهمهم، ومتى عرفت القرآن حريمته، وأنه منزل من لدن حكيم حديد، كان نتيجة ذلك أنك تتلوه حق تلاوته، وتصق ما جاء فيه من الأخبار السابقة والأخفة وأحكامه، وطريقة السلف هي المتمسرة لسعادة الدارين، أما طريقة هؤلاء فإنها تصعب تصديقهم بالأمر العسية، فيقل أتباعهم بالقرآن والسنة، يقل أعمالهم وأمثالهم لأوامر الله؛ لأن الأعمال تعتمد على العقيدة، فإذا كانت العقيدة راسخة في القلوب، أو أنه ذلك في الجوارح، فعملت بطاعة الله، وبعض رأيت من بعض أهل ويخار بذلك، فإن ذلك يدل على ضعف عقيدته، وأنه ما عرف الله حق معرفته بأنه، ومخلوقه، ما عرف عظمته من بعضه، ما عرف الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ومكالمه وحلاله وكبرياته وعظمته، ما عرف واعتقد أن الله نيب الطابع ويعذب العامي، أو أنه عرف ذلك ولكنه لم يتحضره، وذلك لضعف عقيدته ونقص إيمانه، فعرفنا بذلك أهمية معرفة العقيدة الصحيحة السلفية عقيدة السلف الصالح، وأن أصحاب هذه العقيدة هم أهل السنة والجماعة، وهم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة الفائزة بسعادة الدارين، الناجية من العذاب يوم القيامة، والمنصورة في الدنيا قبل الآخرة، سأل الله تعالى أن يجعلنا منهم، وأن يحشرنا في زميرهم، أنه ولي ذلك والقادر عليه.